(الأموال والأنفس) و(الأموال والديار)
في القرآن الكريم – دراسة دلالية

د٠ هدى صالح محمد علي (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين. وبعد:

فإن ما اقترن بالأموال في القران الكريم، ثلاثة أمور: الأولاد ، والأنفس، والديار، وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون في مبحثين مستقلين: اختص الأول بـــ (بالأموال والأولاد) وقد تمت دراسته، واختص الآخر بدراسة الأمرين الآخرين ، فجاء بعنوان ((**(الأموال والأنفس) و (الأموال والديار) في القرآن الكريم – دراسة دلالية**)) .

وقد تضمن هذا البحث ثلاثة مباحث، الأول بعنوان : **(الأموال والأنفس)** في القران الكريم ، وقد بين المفهوم اللغوي للأنفس وأهم الموضوعات التي تضمنتها الآيات التي ورد فيها ذكر الأنفس مقترنة بالأموال ، فكان فى محورين الأول بعنوان (**المعنى اللغوي للنفس**)، إذ إن المعاني التي أوردها علماء اللغة في النفس كثيرة، فاقتصر هذا المحور على ذكر المعنى المراد منها في الآيات المدروسة، والمحور الثاني بعنوان : (المطالب التي خرجت إليها الآيات – موضع البحث) وبحسب مضمون الآيات المدروسة اتسم بثلاثة مطالب :

***المطلب الأول:** الدعوة إلى الجهاد والحث عليه(في تمييز المؤمنين).

***المطلب الثاني:** الاشتراء (الدخول في التجارة المباركة مع الله عز وجل).

***المطلب الثالث** : الابتلاء (في الصبر عند الجهاد بالأموال والأنفس) .

(*) **كلية التربية للبنات – جامعة الكوفة.**

وعُني المبحث الثاني الذي كان بعنوان : (الأموال والديار) في القرآن الكريم بدراسة الديار المقترنة بالأموال فشمل محوراً بعنوان : المفهوم اللغوي للفظ الديار وآخر بعنوان : الاستعمال القرآني للفظ الديار في ضوء ما ذكر في القرآن الكريم من آيات ، إذ ورد لفظا الأموال والديار متصاحبين في آيتين من سورتين هما : الحشر والأحزاب المباركتان، فتضمن المحور – بحسب مضمون الآيتين – مطلبين، عنوان الأول : الإخراج من الديار والأموال، وعنوان الآخر : الوراثة – وراثة الأرض والديار والأموال –.

أمّا المبحث الثالث فكان بعنوان : (وقفات في سياق الآيات – موضع البحث –) ، وفيه دراسة بعض الألفاظ الواردة في آيات البحث من حيث الاقتران بـــ (أل) التعريف والإضافة إلى الضمير كما في آيتي الابتلاء ومن حيث استعمال الألفاظ (الأموال ، والأنفس ، والديار) بصيغة الجمع في الآيات جميعها وتقديم بعضها على بعض .

كما يدرس هذا المبحث ذكر قوله تعالى: ((في سبيل الله)) في بعض آيات الجهاد وحذفه من بعضها، وتقديمه على لفظي الأموال والأنفس في بعض الآيات وتأخيره عنهما في آيات أخر .

وختم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وجعل للمصادر والمراجع ثبتاً خاصاً بها وملخصاً باللغة الإنكليزية. والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

الأموال والأنفس في القران الكريم

أولاً : المفهوم اللغوي للنفس :

أورد أصحاب اللغة للنفس معانى عدة [١] واستعمل هنا بمعنى المتشخص (المتعيّن) أي بمعنى الذات، وجاء في القرآن الكريم مجموعاً بصيغتين (نُفُوس) و (أنْفُس)، وقد استعمل في الآيات – موضع البحث بصيغة (أَفعُل) مقترناً بالأموال في مواضع الجهاد في سبيل الله، في اثني عشر موضوعاً.

ثانياً : المطالب التي خرجت إليها الآيات – موضع البحث –

صنف البحث بحسب مضمون الآيات المدروسة إلى الآيات التي تحث على الجهاد في تمييز المؤمنين حقاً – الذين اشتد بأسهم وطابت أنفسهم ، المقرّين بالعبودية لله (عز وجل) المطيعين له ولرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) – من المنافقين الذين لم يرسخ الإيمان في قلوبهم ، والآيات التي فيها تشويق إلى الجهاد فيها يتاجر المؤمن مع ربه ليحصل على الربح الوفير ، والآيات التي فيها ذكر الابتلاء في الحياة الدنيا، وبهذا التصنيف حددت العنوانات بثلاثة مطالب :

***المطلب الأول : الدعوة إلى الجهاد والحث عليه (في تمييز المؤمنين)**

يعد الجهاد وسيلة لبقاء الدين واستمرار وجوده للدفاع عن النفس والمال والذّب عن الوطن والحرية وحفظ كيان الأمة الإسلامية من السقوط والانهيار والذود عن شرفها وصون استقلالها ، لذلك جاء وصفه في القرآن بأنه وسيلة لحياة الأمم والشعوب وديمومتها وبقائها ، يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال / ٢٤)

فالجهاد شرّعه الإسلام عند التعرض لمهاجمة الأعداء لدرء أطماعهم ومؤامراتهم. وليس هذا يختص بالدين الإسلامي بل كان طريق الأنبياء ومنهاجهم في الدعوة إلى طريق الحق ، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)) (الحديد / ٢٥) ، فحين لا ينفع القول بقوة المنطق والعقل يتوجب عندئذٍ استعمال منطق القوة ، وكنّى عنه في الآية : بالحديد (وهذا ما تقتضيه طبيعة الحياة ، وتحكم به الفطرة، ويحكم بحسنه وضرورته العقل السليم، كما تؤيّده كافة المدارس والمذاهب الحقوقية والسياسية والاجتماعية) [٢]، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى : ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)) (الحج / ٣٩-٤٠) .

ومن خصائص الجهاد الإسلامي أن يكون القتال لله تعالى وفي سبيله لكسب رضاه ، بقوله تعالى : ((الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)) (النساء / ٧٦) .

فالإسلام دين الحق والعدل فلا يكون القتال جهاداً في سبيل الله إلاّ في إطارهما من دون تجاوز أو خرق هذا المقدار إنما يتحقق الجهاد في ضمن حدودهما [٣] وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)) (البقرة / ١٩٠) .ولأجل ذلك كانت حروب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وغزواته في جهاد أعداء الله أعداء الحق التي تقومت بأهم طاقتين (الأموال والأنفس) في الجهاد لدكّ شراك الظلم والضلالة دفاعاً عن الدين وحياة المسلمين في تحقيق الحق والعدالة .

ولما كان للجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله من فضل في درء الظلم والفساد وصون الكرامة والخلاص من الشر ونشر الخير والعدالة وتحقيق السعادة ، قال الله تعالى مخاطباً الناس : ((ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (التوبة / ٤١ ، الصف / ١١). فأشار إلى أن الإيمان به وطاعته والجهاد في سبيله بالأموال والأنفس من الواجبات المفروضة ، لذا جاءت دعوة القرآن إلى الجهاد والحث عليه بتعابير وأساليب مختلفة، منها :

١- الخروج للجهاد خفافاً وثقالاً :

في قوله تعالى : ((انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (التوبة / ٤١) ، جاء التعبير بصيغة الأمر ، جامعاً بين أمرين متقابلين : الأمر بالنفر ، والخروج على أية حال كناية عن الموانع التي تصرف الإنسان وتشغله عن الخروج إلى الجهاد، والخفة كناية عن خلاف ذلك ، كما أن الجمع بين الأموال والأنفس بمعنى أمر الجهاد وبأية وسيلة أمكنت [٤] .

٢- لا تثاقل ولا تخلّف عن الخروج :

في قوله تعالى : ((لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ)) (التوبة / ٤٤) يتبين أن الجهاد في سبيله بالأموال والأنفس من لوازم الإيمان بالله واليوم الآخر وهذا ما يضفي على المؤمن من صفة التقوى وبذلك سيكون على بصيرة من وجوبه فلا يتثاقل من أدائه .

أما المترددون الذين خلت قلوبهم من التقوى وارتابت لعدم الإيمان بالله واليوم الآخر فهم الذين يستأذنون رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في التخلّف عن الجهاد، يقول تعالى : ((إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)) (التوبة / ٤٥) .

٣- من صفات المنافقين التخلّف عن الجهاد:

قال تعالى : ((فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ)) (التوبة /٨١)، هؤلاء هم المنافقون يفرحون بتركهم الخروج ويثبطون الناس عن النفور إلى الجهاد فقالوا لهم : ((**لا تنفروا في الحرّ**)) ألا يعلمون أنّ فرارهم هذا يؤدي بهم إلى نار جهنم التي **هي ((أشدّ حراً لو كانوا يفقهون))**.

٤- استغناء المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم عن نصرة المنافقين:

يقول تعالى : ((لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (التوبة / ٨٨) فقوله : ((وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)) فيه تعريض بأن الذين لم يجاهدوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليسوا بمؤمنين ، فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) استغنى عن نصرتهم بنصرة المؤمنين لنصرة دين الحق بأموالهم وأنفسهم فجزاهم الله لأنهم هم المؤمنون حقاً[٥] .

٥- من علامات المؤمن الصادق الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله:

من أهم علامات المؤمنين الذين وصفهم الله - عزّ وجلّ - بالصادقين تتجلى في قوله تعالى ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)) (الحجرات / ١٥) فقصر عليهم الصدق باسم الإشارة (أولئك) و(هم) ضمير الفصل بأنهم هم الذين رسخ الإيمان في قلوبهم فصدقوا بالقول والفعل [٦] .

٦- من صفات المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض في الجهاد في سبيل الله :

يتجلى ذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾(الأنفال / ٧٢) ، ميز الله تعالى طائفتين من المؤمنين مثلتا نسيج المجتمع الإسلامي آنذاك وهما : المهاجرون السابقون، والأنصار في المدينة، فأولئك آمنوا وهاجروا وجاهدوا بالأموال والأنفس، وهؤلاء ضموهم إليهم ونصروا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوصفهم الله تعالى بقوله : ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ مستعملاً اسم الإشارة (**أولئك**) (لإفادة الاهتمام بتمييزهم للإخبار عنهم، وللتعريض بالتعظيم لشأنهم) [٧] فجعل الله – عزّ وجلّ – بينهم ولاية فكانوا كالجسد الواحد ، فأكد مقامهم لقوله تعالى : ((**أولئك هم المفلحون حقا**)) (الانفال / ٧٤) .

٧- المفاضلة بين المجاهدين :

لم يكتف – عز وجل – ببيان فضل الجهاد والمجاهدين في سبيله إنما فاضل بين المجاهدين أنفسهم إذ تتفاوت درجات المفاضلة بينهم بالعلوّ ووفرة الأجر ، قال تعالى :﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء / ٩٥) لأهمية الجهاد البالغة في الإسلام يبين في ختام الآية أن أجر المجاهدين يفوق أجر أولئك القاعدين إذ لا تساوي بين المجاهدين الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم على حبهما في سبيله ، والقاعدين عن هذا الفعل لسبب آخر غير الفقر والعلل التي لا سبيل لهم معها إلى المشاركة في الجهاد كأولئك القاعدين عن الجهاد بسبب كون المشاركة فيه ليس واجباً عينياً مع معرفة قدسيته ورغبتهم فيه ومن حبسه العذر وكان يتمنى

زوال عذره واللحاق بالمجاهدين مع أنه له فضل كذلك كما في قوله تعالى:(**وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**) ولكن فضل الجهاد (بالفعل لا يساويه فضل الآخرين) [٨] ، يقول تعالى:(**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**)(التوبة / ٢٠)

***المطلب الثاني: الاشتراء (الدخول في التجارة المباركة مع الله- عزّ وجلّ) .**

الاشتراء : أصله من (شرى) ، فـ (قولهم : شريتُ الشيء واشتريتُه ، إذا أخذته من صاحبه بثمنه. وربما قالوا : شريتُ : إذا بعتَ، قال الله تعالى : ((**وشروه بثمن بخس**))) [٩] هذا يعني تلازم الشراء والبيع ، (فالمشتري دافع الثمن ، وآخذُ المُثمَنِ ، والبائع دافع المُثمَنِ ، وآخذُ الثَّمن. هذا إذا كانت المبايعةُ والمشاراة بِنَاضٍّ وسلعة ، فأما إذا كانت بيعَ سِلعة بسلعة صَحَّ أنْ يُتَصوَّر كلٌّ واحدٍ منهما مشترياً وبائعاً ، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كلٌّ واحد منهما في موضع الآخر ، وشريتُ بمعنى بعتُ أكثرُ، وابتعتُ بمعنى اشتريت أكثر) [١٠] .

وبلغ من أمر ترغيب الله- عز وجل – في الجهاد في سبيله بالأموال والأنفس ما ورد ذكره في سورة التوبة إذ قدّمه بطريقته الربانية الحكيمة التي تميزت باللطف الإلهي بشكل عرض تجاري فقال:(**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) (التوبة / ١١١).

فالاشتراء في حقيقته لا يجوز على الله تعالى فالله خالق كل شيء وله الملك والاشتراء إنما يقع للذي لا يملك ليكون ما اشتراه له وبحوزته بعد

المبايعة والله مالك الأشياء كلها [١١]، وإنما هو كقوله : ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)) (البقرة / ٢٤٥)

فالآية – موضع البحث – اشتملت على الأركان الأساسية للمعاملة التي هي المشتري وهو الله تعالى إذ جعل نفسه مشترياً ، والبائع هـــم (المؤمنون) والبضاعـــة أو السلعة (الأنفس والأموال) ، والثمن في هذه المبايعة (الجنّة) بأنها ((لهم)) فاللام للتمليك والاستحقاق ، ضمنها للمؤمنين بعد تقبّله هذه البضاعة لتسليمهم لأمره ، وطاعتهم له ولرسوله المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو الوساطة لإتمام هذه الصفقة قال تعالى : ((تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (الصف /١١) وعداً منه فإنّه الوفي الذي لا يخلف وعده ((وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة /١١١) وباستعمال الفعل الماضي (اشترى) وهو المسند يفيد أنّ الأمر حاصل وواقع وأنّ الوعد بالثواب للجاهلين أو الناسين أو المتناسين قديم متكرر ذكره في الكتب السماوية ويذّكر به القرآن ((**وعداً عليه حقاً**)) فليخفّوا إذا استنفروا فإنّه يبشرهم ببيعهم ذلك ويهنئهم بالفوز العظيم ، فلا أزكى ولا أبقى من هذه التجارة الرابحة من لدن كريم عطاؤه غير مجذوذ ولا تحدّه حدود.

ومثل هذا التشويق إلى الجهاد والحث عليه للحصول على المنفعة والربح في الدنيا والآخرة قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (*) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (**الصف** /١٠-١١) يشوقهم إلى الأمر المعروض الذي ينجيهم من عذاب أليم مستعملاً أسلوب الاستفهام بـــ

(هل) مجازاً فـ (صورته صورة العرض والمراد به الأمر) [١٢] مخاطباً المؤمنين بأن يكون إيمانهم عميقاً خالصاً لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) مستديماً بدلالة استعماله صيغة المضارع (تؤمنون) التي تدل على الدوام والتجدد لكي يكون حافزاً للعمل بما يأمر به تعالى وهو الجهاد في سبيله بإنفاق الأموال والتضحية بالأنفس إذ إنّ الله تعالى هو المشتري والمؤمنون هم البائعون ، وأموالهم وأنفسهم (البضاعة)، وأما الثمن فيتجلى بقوله تعالى : ((يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (الصف /١١)، فالقرآن يذكر المؤمنين بأن الجهاد بالمال والنفس هو الطريق إلى غفران الذنوب ومرضاة الله تعالى ودخول الجنة ، فيالها من تجارة رابحة ، وهذا هو ((الفوز العظيم)) بل هناك المزيد ((وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ)) (الصف / ١٣) بإخبارهم بأمور غيبية وهي من معجزات القرآن الكريم [١٣]. وهذه الغاية الأخرى من الجهاد وكلها من نتائج الجهاد .

ومع أنّ الموت يقين حاصل والمال زائل لا محالة ، فالله الجواد يكافئ عبده الطائع المسلِّم له الباذل نفسه وماله في ميادين الجهاد بنعيم مقيم لا يزول (والمتعارف أنّ الثمن يجب أن يعادل المثمن أو البضاعة إلاّ أنّ هذا التعادل لم يلاحظ في هذه المعاملة ، وجعلت السعادة الأبدية في مقابل بضاعة متزلزلة يمكن أن تفنى في أية لحظة ، سواء كان على فراش المرض أو ساحة القتال)[١٤] فضلاً عن أنّ الثمار التي تجنى في هذا السبيل ليس له فحسب بل يعمّ الخير أمته بل الإنسانية جمعاء .

***المطلب الثالث : الابتلاء (في الصبر عند الجهاد بالأموال والأنفس):**

في مواضع كثيرة ورد ذكر الابتلاء بلفظه أو بمعناه في القرآن الكريم ، أما ما يخص موضوع البحث فجاء في موضعين هما :

١- قوله تعالى :(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (الأنفال /١٥٥)

٢- قوله تعالى : ((لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل عمران /١٨٦)

والابتلاء في الأصل : من (بلوى) ، يقول ابن فارس : ((الباء واللام والواو والياء ، أصلان : أحدهما إخلاق الشيء ، والثاني نوع من الاختبار ، ويحمل عليه الإخبار أيضا .

فأما الأول فقال الخليل : بلِي يبلى فهو بالٍ ، والبِلىَ مصدره . وإذا فتح فهو البَلاء ، وقال قوم هو لغة ... وأما الأصل الثاني الآخر فقولهم : بُلي الإنسان وابتُلى ،وهذا من الامتحان ، وهو الاختبار ... ويكون البلاءُ في الخير والشر ، والله تعالى يُبلي العبدَ بلاءً حسناً وبلاءً سيّئاً ، وهو يرجع إلى هذا ، لأن بذلك يختبر في صبره وشكره)) [١٥].

وربط الراغب الأصفهاني بين الأصلين بقوله : ((وبلوته : اختبرتهُ كأني أخلقتُه من كثرة اختباري له ... وسمي التكليف بلاءً من أوجه :

- **الأول** : إن التكاليف كلها مشاق على الأبدان ، فصارت من هذا الوجه بلاءً.

- **والثاني** : إنها اختبارات ، ولهذا قال الله - عزّ وجلّ - : ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)) (محمد / ٣١) .

- **والثالث** : إن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، فصارت المحنة جميعاً بلاءً ، فالمحنة مقتضية للصبر، والمحنة مقتضية للشكر)) [١٦]

فذخيرة الإنسان التي يدخرها للقاء الله تعالى هي ما يتحمل من جهد وعناء في الله .

فالطريق إلى رضوان الله في الجنة وإلى لقاء الله محفوف بالعناء والفتنة والابتلاء، وعليه أن يجتاز طريق ذات الشوكة وأن يؤذى في الله ، ويضطهد في الله فيصبر على الأذى والاضطهاد في الله [١٧] بقوله تعالى : ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)) (آل عمران / ١٤٢).

وفي الآيتين – موضع البحث – جاء لفظ الابتلاء بصيغة المضارع مؤكداً بتوكيدين لام القسم ونون التوكيد الثقيلة إفادة لتحقيق ذلك الابتلاء واستمرار وقوعه ، وفي الآيات السابقة للآية الأولى دعوة وأمر من الله عز وجل بالاستعانة بالصبر والصلاة ، ونهي عن القول بموت من يقتل في سبيله إنما هي الحياة الخالدة للشهداء ،ودعوة إلى الصبر والشكر ، فالنصر متحقق بتحقيق إحدى الحسنين ، وهذه كلها من مظاهر الاختبار الإلهي .

بعد ذلك بيان لما لحق المسلمين من شدائد ومحن على أيدي الكفار لما أصابهم من الخوف لعداوة المشركين لهم والجوع لعسرهم وفقرهم أو لقلة الزاد بسبب تشاغلهم بالجهاد عن المعاش وقلة العناية والرعاية لنخيلهم وممتلكاتهم ما يؤدي إلى نقص في الأموال المعروفة أو ما يشمل الأنعام والإبل فضلاً عن النقص بالأنفس بسبب القتل في سبيل الله أو ما أصابهم من سيطرة المشركين في الاعتداء عليهم أو هو قلة النسل بسب تأثير الحروب بموت الرجال أو البعد عن الأزواج وغير ذلك من الأمور التي وقف عندها المفسرون في كتبهم [١٨].

وفي الآية الثانية كان التركيز على أمرين هما أن الابتلاء سيكون في أموال المسلمين وأنفسهم فضلاً عن سماع المكروه من أهل الكتاب والمشركين كما في قوله تعالى: ((وَلَتَسْمَعُنَّ)) المؤكد بتوكيدين لتحققه ووصفه– عز وجل–

بالأذى الكثير أي الخارج عن تحمل النفوس الشريفة ما يفضي إلى الانزعاج ، فأمرهم بالصبر على ذلك لأجل تحقق النصر وأمرهم بالتقوى بالدوام على الإيمان (فأمّا الصبر على الابتلاء في الأموال والأنفس فيشمل الجهاد ، وأمّا الصبر على الأذى ففي وقتي الحرب والسلم) [١٩].

ومن هنا فإنّ دار الدنيا دار اختبار إلهي ، ومصداقه المصائب التي هي اختبار لما لدى الإنسان من تحمل وإرادة وثبات وصبر في اجتياز هذه الابتلاءات .

فأراد الله تعالى بذلك أن يبين للمؤمنين المتبعين لدينه أن ما يصيبهم ليس لنوال نصيب في الدنيا إنّما هو في سبيل مرضاته – تعالى – وانتصارهم الحقيقي هو في صبرهم لتأتيهم البشارة في الآية الأولى في قوله تعالى : ((**وبشر الصابرين**)) وبإخبارهم بما يسرهم ، وأمرهم في الآية الثانية بقوله : ((وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا)) بجملة شرطية كان جوابها ((فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) بتقدير (إن تتقوا تنالوا ثواب أهل العزم فإنّ ذلك من عزم الأمور) [٢٠] لأن بالصابرين والمتقين لا بغيرهم يتحقق النصر في مواضع المحن .

* *

المبحث الثاني

(الأموال والديار) في القرآن الكريم

- المفهوم اللغوي للفظ الديار :

أصل الديار من (دور) التي تدل على الإحاطة ومصاديقها الطّواف وما يدور حول حلق الفرس من الشعيرات ، والمكاره التي تدور على الإنسان ، والدار من دَوْر، أي محوّطة مخصوصة [٢١]، والدار (المنزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط، وقيل : دارةٌ، وجمعها ديار، ثم تسمى البلدةُ داراً والصَّقْعُ داراً ، والدنيا كما هي داراً ،والدار الدنيا ، والدار الآخرة، إشارة إلى المقرّينِ في النشأة الأولى ،والنشأة الآخرة)[٢٢].

- الاستعمال القرآني للفظ الديار :

يفهم مما تقدم أن استعمال القرآن للفظ الديار من دون غيره من الألفاظ كالبيت والمنزل والبلد وغير ذلك هو بلحاظ دورانها وإحاطتها وليس بلحاظ البيتوتة وسواها من المعاني [٢٣].

ورد لفظ (الديار) في آيتين كريمتين ، ويصنف بحسب المضمون إلى مطلبين :

***المطلب الأول : الإخراج من الديار والأموال :**

قال تعالى : ((**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) (**الحشر** /٨).

الفقراء في قوله تعالى بدل بعض من كل وهم أسماء الأصناف المتقدمة المذكورة (القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وهو قوله تعالى : ((**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**)) (الحشر /٧) لهم نصيب في فيء أهل القربى

لأنهم أُخرجوا من ديارهم وأموالهم لوقوفهم مع الحق وإخلاصهم لدين الإسلام وتضحيتهم في سبيله ينصرون الله ورسوله ، فهجرتهم كانت لرضا الله وطلب ثوابه إذ إنهم أُكرهوا على ترك ديارهم وأموالهم فهؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ونصروا الله ورسوله بأموالهم وأنفسهم مدحهم الله بأنهم هم الصادقون .

***المطلب الثاني : الوراثة – وراثة الأرض والديار والأموال:**

قال تعالى : ((**وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَـــيْءٍ قَدِيرًا**)) (الأحزاب /٢٧).

وقوله : ((**وَأَوْرَثَكُمْ**)) في الأصل من الجذر (ورث) (وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسبٍ أو سبب)[٢٤].

والوراثة والإرث والميراث في الاصطلاح بمعنى (انتقال قُنية إليك من غيرك من غير عقد ، ولا ما يجري مجرى العقد ، وسمي بذلك المنتقِل عن الميّت فيقال للقنيةِ الموروثة : ميراثٌ وإرث .وتراث أصله وراث ، فقلبت الواو ألفاً وتاءً) [٢٥] .

وقد ذكر في كتاب الله العزيز ثلاثة أنواع من المواريث مخصصة من الله – عزّ وجل – لعباد الله الصالحين ، ميراث منها في الآخرة ، ، وميراثان في الجنة .

فأما الذي في الآخرة فهو الجنة يورثها عباده الصالحين والمتقين بما عملوا، قال تعالى : ((**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)) (الأعراف /٣٤) ، وإنما سميت (إرثاً) لأن الله تعالى خلق الجنة لعباده جميعا إذا آمنوا وعملوا صالحاً وبهذا العمل الصالح يورث المؤمنون الجنة .

وأمّا الميراثان في الدنيا ، فأحدهما : من الأنبياء والمرسلين والصالحين من عباد الله وهو الكتاب، والهدى، والحكمة، والآخر: من الظالمين والجبابرة

والطغاة، وهو المال والسلطان والأرض، وهذا ما أشارت إليه آيات كثيرة ومنها الآية – موضع البحث– [٢٦] .

فالآية تمثل جانباً من نتائج غزوة بني قريظة ، إذ قُتل جمعٌ من أولئك الخائنين على يد المسلمين ، وأسر آخرون ، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة من جملتها أراضيهم وديارهم وأموالهم ، والأرض خيبر أو الأرض التي أفاء الله مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب [٢٧].

وعبّر عن هذه الغنائم بالإرث (لأنّ المسلمين لم يبذلوا كثير جهد للحصول عليها وسقطت في أيديهم بسهولة كل تلك الغنائم التي كانت حصيلة سنين طويلة من ظلم وجور اليهود واستثماراتهم في المدينة) [٢٨].

أورث الله تعالى الأرض والديار والأموال للمجاهدين في سبيله بعد إخراج الكفرة منها بالفتح والغنائم فصارت أرضهم وديارهم وأموالهم أنفسها لهم بعد أن كانت لأولئك الكفرة الخاسرين .

* *

المبحث الثالث

وقفات في سياقات الآيات – موضوع البحث –

• لفظا الأموال والأنفس في آيتي الابتلاء بين (أل) التعريف والإضافة إلى الضمير :

المعارف بحسب آراء علماء النحو تختلف بدرجة التعيين والتعريف بعضها أقوى في ذلك من بعض مع تضارب في ترتيبها لديهم من حيث القوة . ومن المتفق عليه أن ضمير المخاطب أقوى من المعرف بـــ (أل) في درجة التعريف والتخصيص ، والمراد بالتخصيص هو تقليل الاحتمال والاشتراك في النكرة (٢٩) .

ولو دققنا النظر في قوله تعالى : ((**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**)) (البقرة /١٥٥).

وقوله تعالى : ((**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)) (آل عمران /١٨٦).

نجد أن تفاوت حصول الاختبار الإلهي للمؤمنين بالأموال والأنفس بدا جليّاً في الآيتين المذكورتين ، إذ كان في الآية الأولى شاملاً لمظاهر مختلفة غير النقص من الأموال والأنفس ، كالخوف والجوع ونقص الثمرات ، أي لم يكن خاصاً بهما لذا وردا معرّفين بالألف واللام ، في حين أن الابتلاء مقصور عليهما في الآية الثانية وإضافتهما إلى ضمير المخاطب يدّل على أن ابتلاء المؤمنين كان بالأموال والأنفس لا بشيء آخر من مظاهر الابتلاء المذكورة في الآية الأولى والمعنى – هنا – أقوى بدلالة وجود القرينة المعنوية في الدعوة إلى الصبر والتقوى فهذا الاختبار الإلهي للمسلمين مقدر وواقع لا محالة يقول تعالى : ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)) (العنكبوت /٢).

• **استعمال الفاظ (الأموال والأنفس ، والديار) بصيغة الجمع :**

الجمع في اللغة ضم الشيء إلى الشيء بتقريب بعضه من بعض [٣٠]، وهو في الاصطلاح ((ما دل على اثنين أو اثنتين فأكثر، ويعد من مظاهر الإيجاز في اللغة))[٣١]. فاستعمال لفظ (الأنفس) بصيغة (أفعُل) التي تدل على (جمع القلة) [٣٢]جاء موافقاً للسياق سواء أقصد هذا الجمع أم كان المقصود منه مطلق إرادة الأفراد .

ويتجلى من الآيات – موضع البحث – أنها تبحث في الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، والجهاد بالأموال على الإنسان أيسر بكثير من جهاده بنفسه التي هي أعزّ وأغلى، لذلك المجاهدون بأنفسهم من القلة بالنسبة إلى سواهم من المجاهدين لتفاوت درجات الإيمان ورسوخها لديهم .

ويمكن القول إن ورود اللفظين في الآيات جميعها بصيغة الجمع هو للدلالة على الشمول [٣٣] ، فاستعمال لفظ (الأموال) يشمل كل جنس من الأموال : المعروفة، والدواب والأنعام والإبل وغيرها، واستعمال لفظ (الأنفس) يشمل كل جنس من الأنفس: النفر والأولاد والعشيرة وغير ذلك. فالشمولية هي المرادة هنا وليس التخصيص ، لذا كان الجمع هو السمة السائدة في هذه الآيات.

وكذلك الأمر في لفظي (الديار والأموال) إذ وردا بصيغة الجمع في الآيتين للدلالة على الشمولية أي كل جنس الديار لتشمل البيوت والمنازل أو البلاد أو القرى التي يسكنون فيها أو يقيمون فيها توطناً وما إلى ذلك ، وكل جنس الأموال ،فليس من تخصيص في السياق .

• **التقديم والتأخير في الألفاظ والأقوال – موضع البحث –**

التقديم والتأخير هو فن غاية في الروعة والجمال يلجأ إليه للتأثير في نفس المتلقي، وهو دليل التمكن والاقتدار على الفصاحة في صياغة الكلمات وترتيبها ترتيباً يتطلبه المعنى [٣٤] ، أتى بها العرب للدلالة على ((تمكنهم في الفصاحة

وملكتهم في الكلام وانقياده لهم)) [٣٥] ، ما يجعل السياق فياضا بروعته وغناه وأثره في النفس [٣٦] .

وما إعجاز القرآن الكريم إلاّ بفصاحة ألفاظه ونظم تأليفه فاتسم بالدقة في رصف الألفاظ فهذا الأسلوب في النص القرآني قد بلغ ذروته في مجال التعبير بما يقتضيه المقام والسياق بوضع الكلمات في الموضع الذي يستحق وفي المكان المناسب لها [٣٧]، وفيما يأتي بيان للمواضع التي اقتضت تقديم بعض الألفاظ على بعض أو تأخيرها .

- **تقديم لفظ (الأموال) على لفظ (الأنفس) في آيات الجهاد وتأخيره عنه .**

في الآيات الواردة تقدّم لفظ (الأموال) على (الأنفس) إلا في آية الاشتراء وهو قوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (التوبة / ١١١)

فأمّا تقديم (الأنفس) على (الأموال) في الآية المذكورة ففيه إشارة إلى أن النفس أعظم من المال، فأراد الله أن يبين أن النفس أعزّ وأغلى وأثمن من المال، فضلاً عن أنه – تعالى – بعد أن ذكر الأنفس والأموال ، قال : ((يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)) ولم يقل (يجاهدون) وفي هذا إشارة أخرى إلى أن بذل النفس في الجهاد هو المقدم إذ إن القتل لا يكون إلاّ للنفس .

أمّا الناس فيقدمون المال على النفس في حين أن باذل المال في سبيل الله وإن كان له أجر عظيم فلا يساوي في جهاده باذل النفس .

وأما تقديم الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس وهو الغالب ، فلأن الذي يحضر في الذهن عند سماع الأمر بالجهاد هو الجهاد بالنفس لذا كان ذكر الجهاد بالأموال (أهم بعد ذكر الجهاد مجملاً) [٣٨] فضلاً عن أن تقديم الأموال

كونها مقدمة للجهاد بالنفس ليس لأنها أهم من النفس بل (لأن مستلزمات الجهاد لا تتهيأ إلاّ عند توفر الإمكانات المادية).[٣٩]

- **تقديم لفظ (الديار) على (الأموال) في آيتي الإخراج والوراثة (*)**

تقديم الديار وتأخير الأموال في الآيتين ترتيب مكاني طبيعي، ففي الآية الأولى أخرجوا بالإكراه من ديارهم وأموالهم فصاروا فقراء ، وفي الأخرى ملكوا الأرض والديار والأموال بعد أن غنموها بالفتح فأورثهم الله إياها .

- **ذكر قوله تعالى: ((في سبيل الله)) وحذفه في آيات الجهاد :**

كثيرا ما أشار علماء العربية في مصنفاتهم إلى أن الذكر هو الأصل ولا يحذف من الكلام شيء إلاّ بما يستدل به على المحذوف كالقرائن اللفظية أو قرينة المقام [٤٠] إذ إن ((كمال البلاغة في الذكر لأن إدراك المعنى متوقف عليه، وأما إذا قام دلائل الحال والمقام على الاستغناء فإن الحذف يصبح مطلباً بلاغياً)) [٤١] ترى به ((الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ)) [٥٦] .

وهذا الأسلوب تجلى في آيات الجهاد بذكر قوله تعالى : ((في سبيل الله)) وحذفه منها إذ ورد ذكره في الآيات التي تدعو إلى الجهاد في ثمانية مواضع وحذف من موضعين ، وعند تدبر هذه الآيات جيداً يظهر أن قوله تعالى : ((**في سبيل الله**)) يحذف من الآية التي يرد فيها ذكر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) باللفظ أو بالضمير العائد عليه فضلاً عن أن في ذكره دلالة على أن الجهاد بوجوده (صلى الله عليه وآله وسلم) وبحضوره من نحو قوله تعالى : ((لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (التوبة / ٨٨) ، وقوله تعالى : ((لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ)) (التوبة /٤٤) .

في حين يرد قوله تعالى : ((**في سبيل الله**)) في الآيات التي يذكر فيها الجهاد من دون ذكر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كقوله تعالى : ((الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)) (التوبة /٢٠ ، وينظر أيضا النساء / ٩٥، الأنفال / ٧٢، التوبة /٤١ – ١١١) .

وقد يكون مذكوراً (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن ليس القصد من ذكره هو الدلالة على حضوره في الجهاد كقوله تعالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)) (الحجرات /١٥ ، وينظر التوبة / ٨١، والصف / ١١) .

ولعل سبب حذف القول مع ذكر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ودلالة حضوره هو أن كل فعل أو حركة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي في سبيل الله تعالى وعليه فجهاد الرسول لا ريب هو جهاد في سيبل الله ما يؤدي إلى انتفاء ذكر القول . أما جهاد الناس فليس جميعه في سبيل الله لذا يقيد جهادهم بذكر (في سبيل الله) .

لما تقدم بدى جليّاً أن ذكر قوله تعالى : ((**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)) جرى بحسب ما يقتضيه السياق وكذا الحذف إنّما حذف بتوافر ما يعين على تحديد المحذوف منه فأضفى على التعبير رونقاً من الفصاحة والبيان بلغ غاية الفن والجمال .

- **تقديم قوله تعالى : ((في سبيل الله)) على لفظي (الأموال والأنفس) وتأخيره عنهما:**

في الآيات التي تقدم فيها ذكر (في سبيل الله) على (الأموال والأنفس) أراد الله تعالى أن يعرف الإنسان أن فضل الجهاد هو حين يكون في سبيل الله وليس في سبيل هوى النفس ثم عليه أن يعرف الكيفية وهي أن تكون بالسماحة

والجود بأعز ما يملكه الإنسان وهو (المال)وبما هو أعز منه وهي (النفس) فعرفهم بالجهاد بأنه في سبيل الله فقدمه ثم ذكر الكيفية .

وفي الآيات التي تأخر فيها ذكر (في سبيل الله) عن (الأموال والأنفس) فكأنّ الأمر هنا معروف لديهم وهو أن الجهاد يكون في سبيل الله ولكن المطلوب هو الكيفية فكأنما سؤال العباد كيف يكون الجهاد في سبيل الله ؟

فكان الجواب: بالأموال والأنفس ، أي عليهم أن يهيئوا الأموال والأنفس لكي يجاهدوا في سبيل الله فقدم (الأموال والأنفس) على قوله(في سبيل الله).

* *

الخاتمة

مسك ختام البحث أهم النتائج ، وهو ما يأتي :

١- ورد لفظ النفس مصاحباً للأموال في اثني عشر موضعاً ، موضوعاتها في الجهاد .

٢- في جميع المواضع ورد كل من لفظي (الأموال) و (الأنفس) بصيغة الجمع .

٣- تقدم لفظ (الأموال) على (الأنفس) في تلك المواضع إلا في موضع واحد (آية الاشتراء) إذ تقدم فيه لفظ (الأنفس) على (الأموال).

٤- ارتبط ذكر قوله تعالى :(في سبيل الله) وحذفه عند ذكر الجهاد بالأموال والجهاد بالأنفس فضلاً عن تقدمه على لفظي (الأموال والأنفس) وتأخره عنهما بحسب ما يفرضه السياق .

٥- تعدد طرائق التعبير في الحث على الجهاد والترغيب فيه ، ومن هذه الأساليب ذلك العرض التجاري المبارك الذي تجلت فيه رحمات الله عز وجل وهو خالق الوجود والمالك والمسيطر الذي في قبضته كل شيء والغني المستغني ، فإنه يشتري ما وهبه وأفاضه على عباده ، ويتعهد لهم بوثائق تضمن لهم أجوراً مضاعفة من العطايا التي تحقق لهم السعادة الأبدية.

٦- المواضع التي ذكر فيها الجهاد بالأموال والأنفس ، بيّنت فضل الجهاد وفضل المؤمن المجاهد الراسخ الإيمان ،الصادق في القول وفي الفعل .

٧- اقتران الديار بالأموال ورد ذكره في موضعين في القرآن الكريم في سورتي الحشر والأحزاب.

٨- في الموضعين تقدّم لفظ (الديار) على (الأموال) بحسب الترتيب المكاني وهو الترتيب الطبيعي.

٩- استعمل اللفظان بصيغة الجمع في الموضعين إرادة للشمول .

١٠- حرص القرآن الكريم في الآيات – موضع البحث – وفي مواطن كثيرة أن يحث الإنسان الساعي لمرضاة الله ولقائه أن ينظر من خلال النتائج والعواقب وليس من خلال المعاناة والآلام والمتاعب التي تحفّ طريقه ، تجلّى أسلوب هذه الرؤية في قوله تعالى : ((لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) (آل عمران / ١٨٦) ، وقوله تعالى : ((لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (التوبة / ٨٨)، وقوله تعالى: ((قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) (الأنعام /١٣٥)

ومثله كثير وهو ما لاحظناه في ختام الآيات المدروسة في متون البحث .

* *

الهوامش

(١) ينظر العين : ٢٧٠/٧، الصحاح : ٩٨٤/٣، مقاييس اللغة : ٥/ ٤٦٠-٤٦١، لسان العرب : ٦/ ٣٣٣-٣٣٦.

(٢) مفاهيم القرآن : الشيخ جعفر السبحاني ٧ / ٤٩٧.

(٣) المصدر نفسه : ٧/ ٤٩٦.

(٤) ينظر الميزان : ٩/ ٢٨٣.

(٥) ينظر التحرير والتنوير : ١٠/ ١٧٦.

(٦) التبيان: ٣٥/٩، والأمثل : ٤٧/١٩.

(٧) التحرير والتنوير : ١٧٠/٩.

(٨) ينظر التحرير والتنوير : ٤/ ٢٢٩.

(٩) مقاييس اللغة : ٢٦٦/٣.

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني ٤٥٣.

(١١) ينظر التبيان :٣٠٥/٥.

(١٢) المصدر نفسه : ٥٩٤/٩.

(١٣) ينظر التحرير والتنوير : ١٧٥/٢٨.

(١٤) تفسير الأمثل : ١٥٩/٦.

(١٥) المصدر نفسه : ١٦٠/٦.

(١٦) مقاييس اللغة : ٢٩٣/١.

(١٧) مفردات ألفاظ القرآن : ١٤٥

(١٨) ينظر التبيان : ٣٦/٢، والميزان : ٣٢٧/١.

(١٩) التحرير والتنوير : ٣٠٢/٣.

(٢٠) المصدر نفسه : ٢٠٣/٣.

(٢١) مقاييس اللغة :٣١٠/٢-٣١١، المصباح المنير : ١٣٠/٢.

(٢٢) مفردات ألفاظ القرآن : ٣٢١.

(٢٣) مقاييس اللغة : ١٠٥/٦.

(٢٤) التحقيق في كلام القرآن الكريم ٣٠١/٣.

(٢٥) المفردات : ٨٦٣.

(٢٦) ينظر في رحاب القرآن: محمد مهدي الآصفي ١١-١٣.

(٢٧) الميزان : ١٦/ ٢٩١.

(٢٨) الأمثل :١٣/ ١٥٧.

(٢٩) ينظر شرح التصريح :، وشرح المفصل :٧٨/٥.

(٣٠) لسان العرب : مادة جمع ٢٦٧/١

(٣١) شرح المفصل: ٦٥/١.

(٣٢) تدل هذه الجموع على عدد بين الثلاثة والعشرة ، وصيغها هي (أفعل ، أفعال، أفعلة، فعلة) ، ينظر المفتاح في الصرف : للجرجاني ٦٧.

(٣٣) ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي ١٢٢.

(٣٤) ينظر البلاغة والتطبيق : د. أحمد مطلوب ١٤٤، وينظر تسهيل الفوائد :١٣٤..

(٣٥) البرهان في علوم القرآن : للزركشي ١٤٩/٣.

(٣٦) ينظر دلالة التراكيب .دراسة بلاغية : د.محمد أبو موسى ١٧١.

(٣٧) ينظر التعبير القرآني : د.فاضل السامرائي ٢٣.

(٣٨) التحرير والتنوير : ١٠٤/١٠.

(٣٩) الأمثل : ٢٢١/١٨.

(٤٠) ينظر الخصائص :٣٦٢/٢، والجملة العربية ، تأليفها وأقسامها ٧٥.

(٤١) الدلالة السياقية عند اللغويين : عواطف كنوش ٤٥.

(٤٢) دلائل الإعجاز : للجرجاني ١٤٦.

* *

مصادر البحث ومراجعه

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، الدكتورة خديجة الحديثي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٥.
- أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،٢٠٠٥
- البرهان في علوم القرآن. أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الزركشي (٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ٢٠٠٦.
- البلاغة والتطبيق ، د. أحمد مطلوب ، مطابع بيروت الحديثة ، ٢٠١١م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٧، مطبعة المدني ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤١٨هـ –١٩٩٨م.
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي، دار الكتب العلمية ، ط٣، بيروت ، ٢٠٠٩م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقا، ابن مالك ، (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق : محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨.
- التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية ، د.كريم زكي حسام الدين، القاهرة ١٩٨٥م.
- التعبير القرآني : الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط٥، دار عمار، ٢٠٠٧م.

- تفسير التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ). تحقيق وتصحيح: أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان. النجف الأشرف ١٩٦٩م.
- تفسير التحرير والتنوير: محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٠هـ). مؤسسة التاريخ ، بيروت ، د.ت.
- الجملة العربية ، تأليفها وأقسامها ، فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر، عمان، د.ت.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ، ١٩٩٢م.
- دلالة التراكيب، دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، ط٢، مكتبة وهبة، مصر ، ١٩٨٧م.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، دار السياب، ٢٠٠٧م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو المؤلف: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، (٩٠٥هـ) ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن النحوي (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب- بيروت ، د.ت .
- (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق : أحمد بن عبد الغفور عطار ، ط٢ ، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٧٩م .

- العين. الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (١٧٠هـ). تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العاني ، بغداد ،١٩٦٧م.
- في رحاب القرآن: محمد مهدي الآصفي، مطبعة مجمع أهل البيت (ع) في النجف الأشرف ،٢٠٠٨م.
- لسان العرب ، أحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١ هـ)، ط٣، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ.
- المصباح المنير، عُني به وراجعه عزت زينهم عبد الواحد، مطبعة الإيمان، المنصورة . د.ت.
- معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ١٩٧٢م .
- مفاهيم القرآن، العلامة جعفر السبحاني، ط٣، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم ، ١٤٢٨هـ.
- المفتاح في الصرف المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ) حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحَمَد، كلية الآداب ، جامعة اليرموك، إربد، عمان، ط ا، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).
- مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم حسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق ، ١٤٢٥هـ.
- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، الطبعة التجارية، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، د.ت .

* * *